

الجاحظ والأدب وكتابة المقالة

بيتر هيث *

تريد هذه الورقة أن تطور بدايات مفاهيمية لشعريات الجاحظ في نثره الفني. ويحدث ذلك على ثلاثة مستويات، الأول يهدف إلى وضع الجاحظ ضمن التقاليد الكبرى للكتابة الأدبية. ويتطلب ذلك إعادة النظر في ما نعنيه بمصطلح أدب. والمفهوم الأولي أن المصطلح يجمع بين «السلوك الملازم»، و«التربية الأدبية»، وهذا الفهم مؤسس على بحوث تالينيو ويونيباكر على الخصوص، وقد حاولت إضاح المفهوم بالاحتجاج لوضع الأدب في سياقاته الاجتماعية الأوسع والتي تعني شكلاً من أشكال التفكير والسلوك بين أنماط وأشكال عدة. وهذا يشير إلى وجود أنواع عدة من الأدب. ثم أشير إلى تقسيم آخر للادب بين الثقافة، وأدب البلاط وهذا للتفرقة بين المفهوم الجمالي المعني بانتماء الأدب، والأخر الاجتماعي المتصل بالسلوك (فكل الكتاب أدباء، لكن ليس كل الأدباء كتاباً).

والثاني، ملاحظتي أن الأدب هو نثر فني ليس مؤسس على بنيته على حدث أو تصرف أو أنه لا يحتاج إلى هذه الأداة. وهذا الوجه من وجهة نظري في الأزمنة الحديثة - ذلك أن هناك آياً ثابتاً أن «الحدث القصصي» أساسي في نقاشات البنية النثرية.

ولذلك فقد ركزت على شكل واحد من أشكال الأدب العربي، كما يتصل في نوع من أنواع النثر الأدبي: المقالة المألوقة. وهذا شكل بدأ منذ أيام موتاني وفرنسيس بيكون. وقد كان المفاهيمي وجود نصوص كبير في الدراسات النقدية لهذا الشكل، على رغم أهميته الفائقة في كل التقاليد الثقافية الغربية، ولذلك فقد أقيمت على قراءة معنى «المقالة» لدى كل من لوكاتش واورنسون، باعتبارهما بين القلة الذين



قدموا دراسات نظرية حول دور المقالة في الثقافة الحديثة.

والثالث، وضع الجاحظ في السياقات الواسعة لفن الأدب، وللسرديات غير الحديثة المؤسسة على النثر الفني. وهنا التفت إلى تحليل إبعاد من كتاباته (عبر نماذج من البيان والتبيين، والبخلاء، والحيوان، والرسائل)، وذلك من أجل فهم استراتيجياته الشعرية، والنفاذ إلى ذلك عبر أربعة عناصر: الصوت، والتنظيم، والمواءم، والإيديولوجيا. وصوت الجاحظ في كتاباته يمكن أن يكون خفياً أو دالاً أو جدلياً. وهو ينظم مادته أو مواده عبر مبداء الإزواج الأنيبي، ويستعمل كلمات

* نائب رئيس الجامعة الأميركية في بيروت.

أثر صاحب «البخلاء» في ظهور فن المقالة

وحيد بهمردى *

قصدت من وراء هذا البحث الأولي دراسة علاقة مدرسة الجاحظ في القرن الثالث الهجري، بمدرسة ابن العميد في القرن الرابع. بيد أن تلك هي الخطوة الأولى لما يتلوها ثانياً، وهو قراءة وجوه التحديد الموضوعي والأسلوبية التي أنجزها الجاحظ، والتي تركت تأثيراً في مرحلة نشوء مقامة يدع الزمان الهذماني، الذي يقال أنه مبدع ذلك الفن أو ذلك الجنس الأدبي المشهور.

وهناك هدف فرعي ثالث هو علاقة الأدباء في المقامات الشرقية من الإمبراطورية العباسية، في القرن الرابع، بالجاحظ وفنه النثري. ولقد رأيت أن الهذماني استخدم الجاحظ الناثر في شكل مقارن ليشرح إلى تميز ابن العميد من حيث الشكل والمضمون. ولأن مدرسة ابن العميد كانت تمتلك رؤية أخرى لعلائق النثر بالشعر، فقد درست أيضاً تطور النظرية الشعرية بين المدرستين، وطرائق استعمال تلك العلاقة المعقدة بعض الشيء.

وفي حين كان النشر مستقلاً تماماً عن الشعر في الاستعمال عند الجاحظ فإن أسلوب الإمتاع ساد لدى ابن العميد، ومن أمثلة ذلك: «أنا يعرب الأستاذ - أطال الله بقاءه - (كما طرب النشوان مالت به الخمر)، ومن الارتياح للقائه (كما انتفض العصفور بله القطر)، ومن الإمتاع بولائه (كما التقت الصهباء والبارد العذب)، ومن الابتهاج بمرماه (كما اهتزت تحت العبارات الموضوعية بين قوسين هي أعجاب أبيات شعرية أدخلها ابن العميد في النص النثري.

وقد عرضت بعد ذلك للعيوب التي يراها الهذماني في نثر الجاحظ، أو لنقل وجوه



العلاقة بين النصين والفنين.

* أستاذ في الجامعة الأميركية - بيروت.

كتاب البرصان: في الأيمن والأعسر

غيرت يان فان غلدر *

رؤية العرب للمرض والعاية، ورؤيتهم لتاريخ أعلامهم، وعلائق السمات الجسدية بالتنبؤ والشهرة أو عدمهما.

نصوص في الأيمن والأيسر من كتاب الجاحظ

١ - أنا الغلام الأعسر/ والخير في الشر/ والشر في أكثر

٢ - قال الأيمن: الناس كلهم يقسمون في هذا الباب على أربعة أقسام: أيمن وهو الذي يكون أكثر أعماله يمينية وأعسر وهو الذي يكون أكثر أعماله يسارية وأصم وهو الذي يعمل بهما جميعاً وأعسر يسر وهو الذي يكون استعماله ليمينه كاستعماله ليساره سواء.

٣ - فاما الضاد فليست تخرج إلا من الشدق الأيمن إلا أن يكون المتكلم أعسر يسراً مثل عمر بن الخطاب رحمه الله فإنه كان يخرج الضاد من أي شذقيه شاء. فاما الأيمن والأعسر والأصم فليس يمكنهم ذلك إلا بالاستحارة الشديدة.

٤ - قالوا ورائنا في الملوك (و الأشراف الصلح والزرع والفرج وكذلك العلماء، ولم نر عالماً قط ولا ملكاً أعسر. والأعسر إذا اشتغل بثوبه ومشى فكأنه مخبل ويظهر عند ذلك نقصه والشهوة الذي في خلفه. والعسر قبيح بالرجال وهو بالمرأة أقيح ولم نر أعسر إلا حاكاً أو ساقطاً ذلاً.

* أستاذ الدراسات الإسلامية في جامعة أوكسفورد.

وله دراسات في الأدب والبلاغة عند العرب.

** نشر الكتاب للمرة الأولى محمد مرسي الخولي عام ١٩٧٢ (= ١٩٨١). ثم نشره محمد عبدالسلام هارون ببغداد ١٩٨٢ (= بيروت ١٩٩٠).

ترتيب تاريخي للمؤلفات السياسية

جمال عطار *

أولاً: عصر المأمون: حقبة الانتصار المعتزلي * ١٩٨ - ٢٠٠ هـ: المأمون يطلب من العلماء الكتابة في الإمامة، والجاحظ يدخل إلى بلاط الخليفة للمرة الأولى.

المؤلفات: - «جوابات في الإمامة»، «المصدر والخريف: دور الزيدية، والبيان ٣/٣٧٥».

والعثمانية.

* ٢٠١ هـ: المأمون يعين علي الرضا ولياً للعهد، وموت الزيدية (٢٠٢)، وموت علي الرضا (٢٠٣).

المؤلفات: - «مقالات الزيدية والرافضة»، * ٢٠٣ هـ - ٢١١ هـ: استمرار المناقشات حول الإمامة في بلاط المأمون.

المؤلفات: «حكايات قول أصناف الزيدية»، «ذكر ما بين الزيدية والرافضة»، «العمرية والخطابية»، «الرد على الزيدية»، كتاب «المعرفة»، «أقوال وجوابات العثمانية على مسائل الرافضة والزيدية»، كتاب «العباسية».

المصادر: «تاريخ الطبري (حوادث ٢٠٥ هـ)، و«الإرث الباقوت»، ٤٥٧، ٥/٣٨٣، «العثمانية» (ص ٢٦١، ٢٧٩، ٢٨٠، ١٨٧، ٢٨٠)، ومقالة شارل بلان عن مؤلفات الجاحظ

* ٢١١ هـ: المأمون يامر بلعن معاوية، وإعلان أن علياً أفضل الناس بعد النبي، والقول بخلق القرآن، وموت المأمون (٢١٨ هـ).

المؤلفات: «رسالة في الخابنية»، «العثمانية» (٥)، و«الرد على المشبهة».

ثانياً: عصر المعتصم والوائق: استمرار الصعود المعتزلي

* ٢١٨ هـ - ٢٢٧ هـ: المعتصم يخلف المأمون وازدياد المحنة، وابن الزيات يصبح وزيراً (٢٢٠ هـ)، والوائق يخلف المعتصم (٢٢٧ هـ).

المؤلفات: «في نفي التشبيه»، «في خلق القرآن»، «رسالة في مدح التجار»، كتاب «فضل هاشم علي عبد منعم»، «رسالة في الحكمين وتصويب علي في عهده».

المصادر: «إشارات إلى المعتصم في الرسائل» (٣/٢٩٦، ١/٣٦٦)، و«إشارات إلى الواائق في الرسائل

والكتب» * ٢٢٠ - ٢٢٣ هـ: الجاحظ (بحسب الحاجري وبلان) يتابع حملته مستقلاً على الرافضة.

المؤلفات: كتاب «التربيع والتدوير»، «المصادر: «الحاجري: الجاحظ» (ص ٢٧٧)، و«مقدمة بلا على التريبع والتدوير».

* ٢٢٩ هـ: ابن الزيات يتأسر مجلس المظالم. المؤلفات: الأجزاء الأولى من كتاب «الحيوان» (قبل ٢٣٢ هـ).

ثالثاً: عصر المتوكل (٢٢٢ - ٢٤٨ هـ): التراجع المعتزلي

* ٢٣٢ - ٢٣٧ هـ: سنوات التحول، المتوكل يخلف الواثق، وآخر فترات سواد الاعتزال، ومحمد بن أبي ذؤاد يتولى قضاء القضاة بعد مرض والده، وملاحقة ابن الزيات.

المؤلفات: «في الجند والهزل»، وكتاب «الضياء» (٩)، وكتاب «البخلاء»، و«بقية أجزاء «الحيوان» و«كتاب «البرهان»، و«كتاب «البيان»، و«ذبول على الحيوان» (البغال، والنساء، وفي المعلمين).

* ٢٣٤ - ٢٣٦ هـ: رفع المحنة، وتخريب قبر الحسين (ملاحقة رسمية للشعبي).

المؤلفات: كتاب «فضل المعتزلة»، و«كتاب «الرد على أصحاب الإلهام».

* ٢٣٧ - ٢٤٧ هـ: الخروج الرسمي للمعتزلة من البلاط، سجن ابن أبي ذؤاد، ويحسب بن أكرم يصبح قاضياً للقضاة، والفتح بن خاقان وزيراً.

المؤلفات: «الرد على النصارى»، و«كتاب «الإخبار»، و«في حجج النبوة»، و«مناقب الترك».

رابعاً: عهد المنتصر (٢٤٧ - ٢٥٥ هـ)

* ٢٤٧ هـ: موت المتوكل، ٢٤٨ هـ: سياسة موالية للعلويين

المؤلفات: كتاب «الأوطان والبلدان» (٢٤٨ هـ)، كتاب «البخلاء»، «قبيل ثورة الزنج بحسب بلان»، «فخر السودان على البيضان» (قبل ثورة الزنج).

* أستاذ جامعي، لم يشارك في مؤتمر الجاحظ، لكنه كتب عن الجاحظ أطروحته للماجستير، ورسالته للدكتوراه. وهذا الجدول مأخوذ من الدكتوراه بصرف.



الجاحظ والأبعاد العقلية والجمالية والسياسية للأدب

حسن عبود *

هل فكرة عقد مؤتمر دولي عن الجاحظ المسلم الإنساني (الإسباني) لزمننا الحالي، في الجامعة الأميركية في بيروت (قرون الثاني/يناير ٢٠٠٠-٢٢) وتتعاون مع المعهد الألماني للدراسات الشرقية لها أي دلالة على إخفاء مفهوم النزعة الإنسانية من حياتنا تدريجياً وبعد ضمور الفكر العربي الإسلامي وتقلص آفاقه ونشأف أوردهته؟ أم إن هناك حاجة أكاديمية ماسة لإعادة فتح كتب واسترداد رؤى الجاحظ البصير (٧٧٦-٨٦٩) في الفكر المعتزلي والعلاقة بين العقائدية والدين والخرافة (أو خطر الحاكمية أو ولاية الفقيه اليوم) ونظريات المعرفة (الاستعمولوجيا) والعلوم الأرسطوطالية وعلم أصول التدريس (البيداغوجيا) و«فقه اللغة» (الفيلولوجيا) والموسيقى وغيرها.

لقد شارك الكثير من الأكاديميين الغربيين والأكاديميات وبعض الأكاديميين اللبنانيين من مختلف الجامعات الأميركية والأوروبية (خمس عشرة باحثاً وأربع باحثات) في أوراق بحث شيقية ذات نزعة تنويرية. فالعصر الكلاسيكي شهد هذه النزعة نظرياً وعملياً واتخذت لديه من الناحية الأسلوبية صيغة الأدب بالمعنى الواسع

للكلمة وليس بالمعنى الجمالي أو الفني الضيق، أي هي أكثر من «أدب الكاتب» لأن تقنية وكتاب «الكامل» للمبرد وكتاب «البيان والتبيين» للجاحظ

فأساندة مثل البروفيسور فان أس من جامعة تورينغ مؤلف الكتاب الضخم باجرائه الستة في اللغة الألمانية

«اللاهوت والمجتمع في القرنين الثاني والثالث للهجرة» (نحن بأمس الحاجة إلى ترجمته إلى اللغة العربية قبل

الانكليزية والفرنسية) قدم المحاضرة الافتتاحية. والأستاذ فان أس هو

واحد من الذين عملوا على فهم ضمور الفكر المعتزلي ثم الإخفاء من المجال الإسلامي.

وبت البروفيسور جورج صليبا من جامعة كولومبيا في محاضراته «الجاحظ

جواً والدين والخرافة» (أو خطر الحاكمية من الثقافة في خطاب معاكس للدين

يصفون العلماء المسلمين بالثقلة عن التراث اليوناني من دون المساهمة في الحضارة العالمية. وناقش الأدلة

في النصوص اليونانية العلمية التي ترجمت مباشرة من اليونانية إلى

العربية من دون الوسيط السرياني. وناقش الأستاذ سيباستين غونتر

من جامعة تورينغ/ كندا قضايا التعليم الفكري والأخلاقي والديني كما عالجه

الجاحظ في كتب عدة بخاصة «كتاب المعلمين» الذي خصصه الجاحظ

للمسائل البيداغوجية وفن التعليم. وقد صوّف الجاحظ مبادئ التعليم -

في الدور الرئيس الذي يعين للمعلمين والمربين في سيرورة تحويل مقدمات المعرفة للطالب، وتيسير الجو لهم لانتماس النمو الفكري وكسب التقنيات

المعرفية - في المسائل الآتية: الأخلص والحماسة في تقديم

الفضائل ضمن مهنة التعليم: كالتواضع والصبر والحماسة للعمل مع النشء

الطالع. وقد فهم التعليم توجيهاً وليس مراقبة للشباب وأقام العلاقة بين

المعلم والتلميذ على الإصغاء والثناء وحتى المحبة. ويرى أن التعليم

العقلاني أكثر أهمية من ضبط البرامج وإدارة البيئة التعليمية أو الأمان أو

تقويم تلقى الطلاب للمعرفة. فالتعلم ينظره شامل للأبعاد العقلية والجمالية

والأخلاقية. وكاننا في هذا الجو ننظر إلى الأجزاء الليبرالية التي يعيشها

الطلاب في المدارس والجامعات الغربية التي تقوم على حداثة متواصلة في

المناهج والأجواء المفتوحة على النفس والأخر.

وقد ناقش الأستاذ رمزي بعلبكي «موقع الجاحظ في التقليد الفيلولوجي

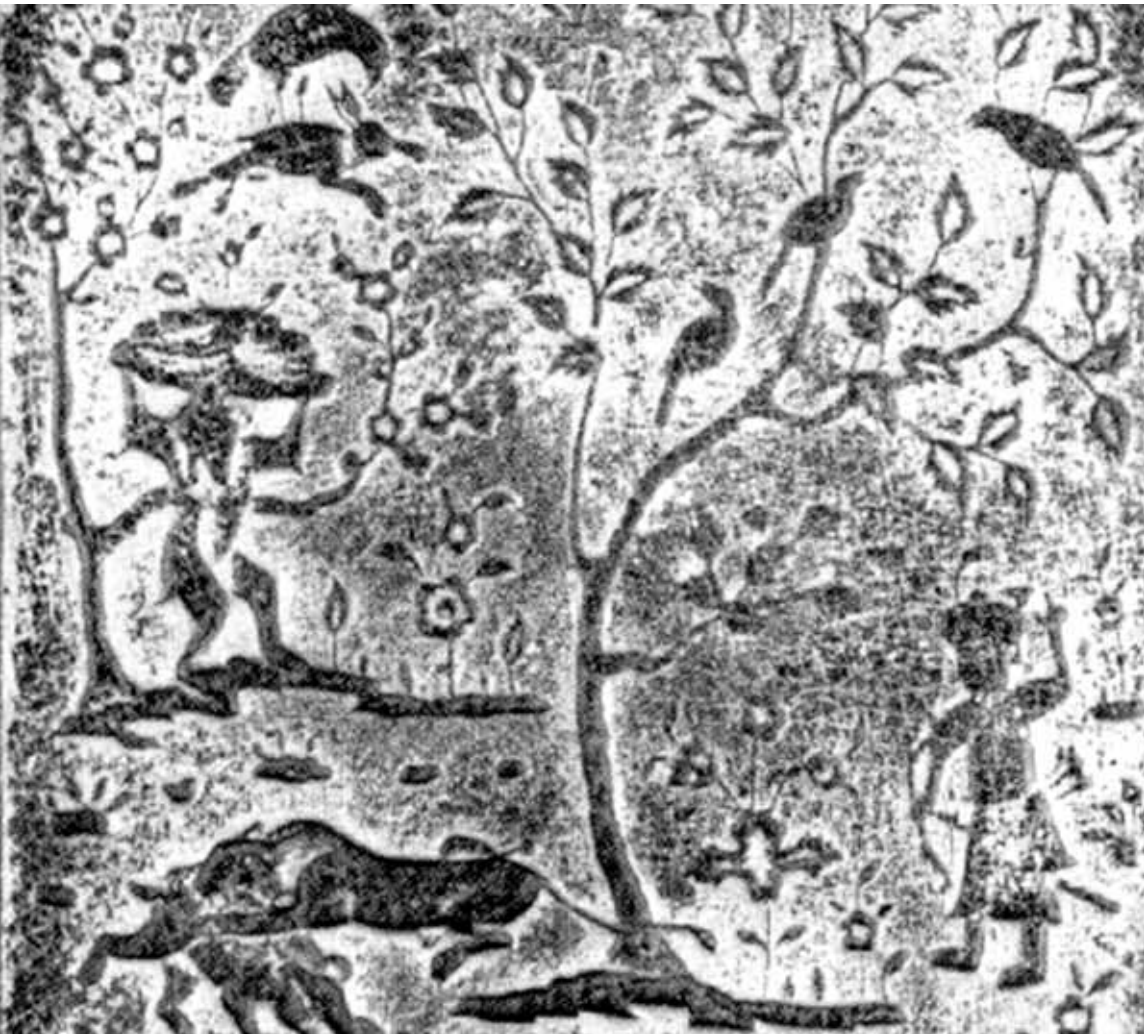
العربي، والعلاقة الإشكالية بينه وبين علماء النحو والصرف. وقد حرص

الجاحظ على مسؤولية حفظ ملكات اللغة لأن اللغة هي الضامن للحفاظ على

الحياة. فإذا تقاسم الإنسان في حفظ اللغة وتنشيطها، والتعليم والدراسة

تقسد القواعد اللغوية - عندها أو أقسامها لا نعرف كيف نستمي الله أو

* كاتبة لبنانية.



نفس الصفات إلى الخالق. وفي دراسة تناصية بين عبدالقاهر الجرجاني صاحب «لائل الإعجاز» وبين الجاحظ ناقشت لآله بهزادي

من جامعة غوتينغن تبني الجرجاني الكثير من أفكار الجاحظ المهمة، بل

أبرزت فضل الأول على الثاني في بناء الجرجاني لنظرية النظم. تقول لآله

أن الجاحظ في كل صفحة تقريباً من كتابه «البيان والتبيين» يتشدد على

التوازن كقيمة أساسية وعلى البلاغة بين حدود الاقتصاد والتوسط... وقد

وصف الجرجاني كلام الجاحظ بنفسه بالنظم في كتابه «لائل الإعجاز» وأعلم

أن من الكلام ما أنت تعلم إذا دبرته أن لم يحتج واضعه إلى فكر وروية

حتى أتقن له، بل ترى سبيله في ضم بعضه إلى بعض سبيل من عمد

لآل فخرتها في سلك لا يبغى أكثر من أن يمنحها النطق، وكمن نضد أشياء

بعضها إلى بعض... كقول الجاحظ: «جئت الله الشهية، وعصم من الحيرة،

وجعل بينك وبين المعرفة نسبا، وبين الصدق بسبباً، وحبب إليك التثنت، وزين

في عينك الإصاف، وأذاقك حلوة النقوى، وأشعر قلبك عذ الحق، وأودع

صدرك برد البكين، وطرد عنك ذل الباس، وعزفك ما في الباطل من الذلّة، وما في

الجهل من القلّة».